الخاتمة

✍ أخي، لتكنْ لك هِمَّةٌ تنطحُ الثريَّا.

«إذا أُعطِي العبدُ همَّه كبرى؛ ارتحلتْ به في دروبُ الفضائلِ، وصعِدتْ به في درجاتِ المعالي.

ومن سَجَايا الإسلامِ التحلِّي بِكبَرِ الهمَّةِ وجلالةِ المقصودِ، وسموِّ الهدفِ وعظمةِ الغايةِ.

فالهمَّة هي مركزُ السَّالِب والموجَب في شخصِك، الرقيبُ على جوارحِك، وهي الوقودُ الحِسِّي والطاقةُ الملتهبةُ، التي تمدُّ صاحِبَها بالوُثوبِ إلى المعالي، والمسابقةُ إلى المحامدِ. وكِبَرُ الهمَّةِ يجلبُ لك -بإذن الله- خيرًا غيرَ مجذوذٍ؛ لترقَى إلى درجاتِ الكمالِ، فيُجري في عروقِك دمَ الشهامةِ، والرَّكْض في ميدانِ العلمِ والعملِ، فلا يراك الناسُ واقفًا إلَّا على أبوابِ الفضائلِ، ولا باسطًا يديك إلَّا لمهمَّات الأمورِ، تُنافس الروَّادَ في الفضائلِ، وتزاحِمُ السَّادة في المزايا، لا ترضى بالدُّون، ولا تقفُ في الأخيرِ، ولا تقبلُ بالأقلِّ.

والتَّحَلِّي بالهمةِ؛ بها يُسلَب منك سَفَاسِف الآمالِ والأعمالِ، ويُجتثُّ منك شجرةُ الذلِّ والهوانِ، والتملُّق والمداهنةِ.

فكبيرُ الهمَّة ثابتُ الجأسِ لا ترهبُه المواقِفُ، وفاقِدُها جبانٌ رِعْديدٌ، تُغلِقُ فمَه الفهاهةُ.

ولا تغلطْ فتخلطَ بين كِبَرِ الهمةِ والكِبْرِ؛ فإنَّ بينهما من الفرقِ كما بين السماءِ ذاتِ الرَّجْع والأرضِ ذاتِ الصَّدع، فكِبَرِ الهمةِ تاجٌ على مَفْرِق القلبِ الحرِّ المثالي، يسعى به دائمًا وأبدًا إلى الطُّهرِ والقداسةِ والزيادةِ

والفضلِ، فكبيرُ الهمةِ يتلمَّظ على ما فاتَه من محاسنَ، ويتحسَّر على ما فقدَه من مآثِرَ، فهو في حنينٍ مستمرٍ، ونَهمٍ دؤوبٍ، للوصولِ إلى الغايةِ والنهايةِ.

كِبَرُ الهمَّةِ حِلْيةُ ورثةِ الأنبياءِ، والكِبْر داءُ المرضَى بعلَّةِ الجبابرةِ البؤسَاءِ.

فكِبَر الهمَّة تصعدُ بصاحِبِها أبدًا إلى الرُّقِّي، والكِبْرُ يهبِطُ به دائمًا إلى الحَضِيضِ.

فيا طالبَ العلمِ، ارسمْ لنفسِك كِبَر الهمةِ، ولا تنفلتْ منها، وقد أَمَّ الشرعُ إليها في فقهيَّاتٍ تلابِسُ حياتَك؛ لتكونَ دائمًا على يقظةٍ من اغتنامِها، ومنها: إباحةُ التيمُّم للتكلُّف عند فقْدِ الماء، وعدم إلزامِه بقبولِ هِبَة ثمنِ الماءِ للوضوءِ؛ لِمَا في ذلك من المِنَّة التي تَنالُ من الهِمَّة منالًا.. وعلى هذا فقسْ..

همٌ كـأنَّ الـشَّمسَ تخطـبُ وُدَّهـا والبـدرَ يرسـمُ في سَـناها أحرُفَـا

فاللهَ اللهَ في الاهتمام بالهمَّة، وسَلِّ سيفِها في غمراتِ الحياةِ..

هوَ الجدُّ حتَّى تفضُلَ العَيْنُ أُختَهـا وحتَّى يكونَ اليومُ لليوم سيِّدا»(١)

يا بن الإسلام.. ويا عالي الهمةِ:

فـأَطلِقْ لرُوحـكَ إِشْرَاقَهـا تَـرَ الفجـرَ يرمقُنـا مِـن بَعِيـد

وقلْ لكلِّ حاقدٍ -صليبيٍّ أو يهوديٍّ أو علماني-: اخْسَأ؛ فلن تعدوَ قدْرَك..

لا تهيِّـئْ كَفَنِـي يـا عَـاذِلِي فأنا لي مـع الفَجْـرِ مواثيـقُ وعهْـدُ

واهدِرْ بصوتِك مجلجِلًا يُصِمُّ آذانهم:

(١) «لا تحزن» لعائض القرني (ص٢٨٦- ٢٨٧).

أناضِلُ عن دينٍ عظيمٍ وهبتُهُ عطاءَ مُقِلٍّ مُهْجَتي وحياتِنا
ومُمتثلٍ لله أسْلَمَ وجهَهُ يقولُ أنا وَحْدِي سأحمي دينِيا
بظهري ببْطنِي بالذِّراع بمقلتي بجنبي بعظْمِ الصَّدْر حتى التَّراقِيا
تأخَّرْتُ دهرًا باللَّذائذِ والمُنى ومِن حذَر الدنيا وخوْف العَوَادِيا
فلمْ أرَ يومًا كالتقدُّم لذَّةً ولم أرَ عيْشًا عيْشًا كالتقدُّم هانِيا
على ذروةِ التوحيدِ تخفقُ رايتي وتحتَ روابيها تصبُّ دمائِيا

وعلى الذرا.. ومناراتِ الدنيا؛ ردِّدْ للكونِ نداءَك: «ليبلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنهارُ»..

لإسلامِي ولو حتَّى إلى الجدْرَانِ شدُّوني
لإسلامي ولو حتَّى إلى النِيرَانِ زفُّوني
لإسلامي لإسلامي ولو في السُّوقِ باعُوني
وإسلامي له نبْضِي له عِرقي وتكويني
وثاراتٌ لإسلامي تُعايشُني تغذِّيني
تبثُّ النورَ في رُوحي وتنبِضُ في شراييني

أخي:

قد أطلْتُ عليك.. وأسهبتُ في بعضِ المواطنِ واستطردتُ، ولعلَّ لي عذري.. وتركتُ فُصُولًا أخرى لطبعاتٍ تالية..

أخي القارئ:

هذا جَمْعِي، لك غُنْمُه وعليَّ وعليَّ غُرْمُه، لك ثمرتُه وعليَّ تبعتُه؛ فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍّ فاقْبَلْه ولا تلتفتْ إلى قائله، وما وجدتَ فيه

من خطأ فإنَّ قائله لم يألُ جهدَ الإصابةِ، ويعلمُ الله أن أخذض من لحمي ودَمِي، ويأبى الله إلَّا ، تفرَّد بالكمالِ، كما قيل:

والنقصُ في أصلِ الطبيعةِ كامنٌ فبنُو الطبيعةِ نقصُهم لا يُجحَدُ

وكيف يُعصَم من الخطأ من خُلِق ظلومًا جَهولًا؟!!

ومن الفألِ الحسَن لهذا الكتاب -وأسألُ الله بكرمِه أني ضعَ له القبولَ في الأرضِ- أن أكتبَ مقدِّمته في الرَّوضَةِ النبويَّة بالمسجدِ النبويِّ، وأن أختمَه ولله الحمدِ وأضعُ القلمَ فراغًا منه لأذهبَ لأفضلِ الصَّلوات؛ قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ الصَّلواتِ عندَ الله صلاةُ الصُّبحِ يومَ الجمعةِ في جَمَاعةٍ**»[1].

✍ وأختمُ كتابي بهذا الدعاءِ علَّه يناسبُ «علوَّ الهمَّةِ».

□ **اللَّهُمَّ** يا وارِثَ الأرضِ ومَنْ عليها، ويا باعِثَ جميعِ مَن فيها، ورِّثْ أمَلي فيكَ مُنى أمَلِي، وبلِّغْ همِّي فيك مُنْتهى وَسَائلي.

□ **اللَّهُمَّ** متِّعْ أبصارَنا بالجَوَلانِ في جِلالِكَ، وسهِّرْنا عمَّا نامتْ عنهُ عُيونُ الغافلِين.

□ **اللَّهُمَّ** اجعلْنا من الذين لخدمتِكَ في أقطارِ الأرضِ لهمْ طُلَّابًا، ولخصائِصِ أصفيائِك أصحابًا، وللمعتكِفين ببابك أحبابًا.

□ **اللَّهُمَّ** اجعلْنا ممَّن بذَلُوا المجهودَ في طلبِ مرضاتِكَ، وانصرفتْ عن خلْقِك إليك همومُهمْ، وأنِسَتْ وطابتْ بالخلوَةِ فيك نفوسُهم، ولا يسعَوْن

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٦٦).



في طاعتك إلَّا ركْضًا.

□ اللَّهُمَّ سُقْنا إلى أقصى مرادِكَ درجةً درجةً، واسلُكْ بنا منازِلَ أصفيائِك منزلةً منزلةً، واكشفْ لنا عنْ مكنونِ علْمك حجابًا حجابًا حتى نتنزَّه في بساتينِ نشْر آلائِكَ، ونرتوي من غدْران ذكْر نَعْمائِك.. اردُدْ أبصارَنا وبصائرنا بطُرَفِ الفوائدِ، وامددْها بتُحَف الزوائدِ، واجعلِ العيونَ منا فوَّارةً بالعَبَراتِ، والصُدُورَ منَّا مشحوَّةً بالحرقاتِ.

□ اللَّهُمَّ إني أسألُك مِنْكَ ما هو لكَ، وأستعيذُك مِن كلِّ أمْرٍ يُسخِطكَ.

□ اللَّهُمَّ إني أسألك من صَفَاءِ الصَّفاءِ صفاءً أنالُ به منك شرَفَ العَطاءِ.

□ اللَّهُمَّ ولا تشغلْني شغْلَ مَن شغَلَهُ عنك ما أرادَ منْكَ، إلَّا أن يكونَ لكَ.

□ اللَّهُمَّ اجعلْني ممَّن يذكرك ذكْرَ من لا يريدُ بذكْره منك إلَّا ما هو لكَ.

□ اللَّهُمَّ اجعلْ غايةَ قصدي إليك ما أطلبُهُ منكَ.

□ اللَّهُمَّ املأْ قلبي بِكَ فرحًا، ولساني لك ذكْرًا، وجوارِحِي بما يُرضيكَ شغلًا.

□ اللَّهُمَّ امحُ عن قلبي كلَّ ذكْر إلَّا ذكْرَكَ، وكلَّ حُبٍّ إلَّا حُبَّك، وكلَّ وُدٍّ إلَّا وُدَّك، وكلَّ إجلالٍ إلَّا إجلالَكَ، وكلَّ تعظيمٍ إلَّا تعظيمَك.

□ اللَّهُمَّ اجعلْ سؤالي لكَ سؤالَ محابِّك، ولا تجعلني ممَّن يتعمَّد بسؤالِه مواضِع الحظوظِ، بل يسألُ القيامَ بواجبِ حقِّك.

□ اللَّهُمَّ اعصمْنا فيما بَقِي من الأعمارِ إلى منتهى الآجالِ، عصْمةً دائمةً كاملةً تامَّة، وكرِّهْ إلينا كلَّ الذي تكْرَه، وحبِّبْ إلينا كلَّ الذي ترضاه

وتحبُّه، واستعمِلْنا به على النحو الذي تحبُّ، وأدِمْ ذلك لنا إلى أن تتوفَّانا عليه، أكِّدْ على ذلك عزائِمَنا، واشْدُدْ على ذلك نيَّاتِنا، وأصلحْ لها سرائِرَنا، وابعثْ لها جوارِحَنا، وكنْ وليَّ توفيقِنا وزيادتِنا وكفايتِنا.

▫ **اللَّهُمَّ** هبْ لنا ما وهبتَ لصَفْوَتِكَ وأوْليائِك وأهلِ طاعتِك من دائمِ الذكْرِ لكَ، وخالِصِ العمَلِ لوجْهِك، على أكملِه وأدْوَمِه، وأصفاهُ وأحبِّه غليك، وأعِنَّا على الفعْلِ بذلك إلى مُنْتَهى الآجالِ.

• **«اللَّهُمَّ اجعلْ في قلبي نورًا، وفي لِساني نورًا، وفي بَصَرِي نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يَسَارِي نورًا، ومن فَوقي نورًا، ومتى تحتي نورًا، ومن أَمَامي نورًا، ومن خَلفي نورًا، واجعل لي في نفسي نورًا، وأعْظِمْ لي نورًا»**(١).

✍ وأخيرًا وليس آخرًا إلى إخواني القرَّاء:

أناشدُ اللهَ مَن قرأَ هذا الكتابَ وانتفعَ به، أن يسألَ الله سبحانه أن يجعلَني من العلماءِ الربانيِّين، وأن يرزقَني شهادةً في سبيلِه، وموتًا في بلدِ رسولِه ﷺ، وأن يمُنَّ علي بكتابة تفسير كامل للقرآن الكريم بعنوان «الكوثر الجاري في تفسير كلام الودود الباري» اللهم رُدَّ إليَّ عبد الله وسماء ردًّا كريمًا طيِّبًا مباركًا فيه.

✍ كما أُناشِدُكم اللهَ أن تدعوا لبناتي [سمية وفاطمة وسماء] بالصَّلاحِ والفَلاحِ والطُهْرِ والعَفَافِ، وأن يجعلَهنَّ اللهُ من القانِتَاتِ التائِبَاتِ العابِدَاتِ، الحافِظَاتِ للغيبِ بما حفِظَ الله.

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس.

✍ وأن يباركَ في وَلَدَيَّ أبي الفداء سيف الإسلام عبد الله، وأحمد ياسين، وأن يجعلهما من كبار علماء المسلمين العاملين، وأن يجمع بينهما في الدنيا ولا يفرِّق بينهما، وأن يرزقهما أفضل من الشهادة في سبيله.

✍ **تمَّ الكتاب بفضل من الله و«نعمة» فالحمدُ لله نهايةً لا تزال تبدأ وبدءٌ لا ينتهي.**

وكتبَهُ حامِدًا ومُصَلِّيًا

الفقيرُ إلى رحمة ربه

السيد بن حسين العفانيُّ (١)

جمهورية مصر العربية- محافظة بني سويف- مركز بني سويف، قرية بني عفَّان

صندوق بريد رقم [١٢٣]

الدكتور: السيد بن حسين بن عبد الله

(١) لمن أراد أن يراسلني لمعرفة رأيه في الكتاب؛ فرحم الله امرأ أهدىٰ إلي عُيوبي.